

مَقَامَةٌ عَنْ الْحَمْدِ الْعَرَبِيَّةِ

أُصُولُهُ وَجَمَالِيَّتُهُ

## بسم الله الرحمن الرحيم

«كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك  
الرُّوم، في أيام المعتد، فقال الملك: ما رأيتُ  
للعرب شيئاً أحسن من هذا الشُّكل! وما أحسدهم  
على شيء، حسدي إياهم عليه...»  
أبو بكر الصُّولي، أدب الكاتب

### عَقَبَاتُ أَمَامِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

ليس من قبيل التشاؤم القول إنّ الخطَّ العربيَّ يمرُّ بمرحلةٍ صعبةٍ في وقتنا المعاصر؛ إذ إنّ أدنى نظرةٍ -دونَ أن تكونَ فاحصةً- تُوضِّحُ أنّ الخطَّ يتفهقرُ رجوعاً، ولكلِّ شيءٍ أسبابه، ولعلنا نكتفي من حيث الرّصدُ بما يأتي:

**أولاً:** تراجعُ الشعورِ بقيمةِ الخطِّ، ويُلاحظُ تنامُّ لهذه الظاهرة في لحظتنا الراهنة.

**ثانياً:** تقاعسُ التعليمِ النِّظامي.

**ثالثاً:** عدمُ الاهتمامِ بإنشاءِ معاهدٍ لتعليمِ الخطِّ العربيِّ، ولعلَّ من المفارقةِ وجودُ أماكنِ المعاهدِ في دُولٍ ليستْ عربيَّةً، كتركيا، والهند، ومؤخراً اليابان.

**رابعاً:** النظرةُ الوظيفيَّةُ للكتابة.

**خامساً:** أثرُ التِّقانة.

**سادساً:** هيمنةُ الصُّورة.

## وَقَفَّةٌ مَعَ تَارِيخِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ

تاريخٌ طويلٌ، حافلٌ، لا يُمكنُ أن يُختصرَ، ولعلَّ ما أحاطَ بالعُنُقِ مِنَ القِلاَدَةِ كافٍ، فنَقِفْ بِذلِكَ عَلَى مَوَاضِعَ:  
**أولاً:** لم يكنِ العربُ أوَّلَ من اكتشفَ فضائلَ الخطِّ وميزاته الجماليَّةَ، يذكُرُ ابنُ التَّدِيمِ في (الفهرست): "قال أفلاطونُ:  
الخطُّ عِقالُ العقلِ. وقال إقليدسُ: الخطُّ هندسةٌ روحانيَّةٌ، وإنَّ ظهرتْ بآلةٍ جسمانيَّةٌ".

**ثانياً:** أوَّلُ خطٍّ عرفهُ العربُ هو الخطُّ **الكوفيُّ**، وسمِّي بذلك نسبةً إلى مدينة الكوفة في العراق، وقد آل هذا  
الخطُّ مِنَ الخطِّ الآراميِّ، وملامحُ التَّقَارُبِ واضحةٌ بين هذينِ الخطَّينِ. والخطُّ الكوفيُّ هو الخطُّ المدنيُّ أو المكيُّ الذي  
انتشرَ في عهدِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينَ، وقد استمرَّتْ كتابَةُ المصاحِفِ بهذا الخطِّ حتى القرنِ الثاني الهجريِّ.  
**ثانياً:** الخطُّ الكوفيُّ هو الخطُّ الذي حمَلَهُ المسلمونَ لنشرِ دينهم، عندما أصبحتْ معرفةُ اللغةِ العربيَّةِ مطلوبَةً شرعاً.  
**ثالثاً:** الخطُّ الكوفيُّ الذي نجدهُ بعد القرنِ الرَّابِعِ خطُّ زُخْرُفِيٍّ، ليسَتْ لَهُ قاعِدَةٌ أصيلةٌ.  
**رابعاً:** النُّسخَةُ الأُصْلَئيَّةُ الوحيدةُ من مُصحفِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رضي الله عنه- رُسمَتْ بِالْخَطِّ الكوفيِّ، وهي محفوظةٌ  
بمكتبِ الإدارةِ الدينيَّةِ للمخطوطاتِ الإسلاميَّةِ في أوْزْبَكِسْتانَ.

**خامساً:** أزال إصلاحُ الخطَّاطِ ابنِ مُقْلَةَ استعمالَ الخطِّ الكوفيِّ مِنَ المَشْرِقِ العربيِّ.  
**سادساً:** توالَتْ الخطوطُ، وكانَ للخطِّ الديوانيِّ والنَّسخِ الخطوةُ الكُبرى في الكتابةِ الديوانيَّةِ، وقد أسهمَ في ذلكِ  
استِقطابُ الخطَّاطينَ لِشُغْلِ هذهِ الوظائفِ ممَّنْ كانَتْ لَهُمُ المِكنَةُ الإبداعِيَّةُ في هذا المجالِ.  
**سابعاً:** من أبرزِ الخطَّاطينَ العربِ: ابنُ البَوَّابِ، وابنُ مُقْلَةَ، وأحمدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحُلَبيِّ، ورشيدُ بنُ كاملٍ الحرشيِّ، وشمسُ  
الدينِ الأزْهَرِيِّ، والشَّهابُ بنُ الرِّسامِ الحنبليِّ.

## مَقُولَاتٌ عَنِ الْخَطِّ وَجَمَالِيَّتِهِ

نَسْتَلُّ مِنْ تِلْكَ التُّقُولِ بِضَعِ مَقُولَاتٍ:

أولاً: "الخطُّ سِمْتُ الْحِكْمَةِ، يَفْصَلُ شَذُورَهَا، وَيَنْظُمُ مَنُثُورَهَا". التوحيدي

ثانياً: "الفرقُ بين الكتابةِ والخطِّ أَنَّ الخطَّ قَدْ يَكُونُ كِتَابَةً، وَالكِتَابَةُ لَا تَكُونُ خَطًّا". التوحيدي

ثالثاً: "العلمُ شَجَرٌ، وَالْخَطُّ ثَمَرٌ". الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي

رابعاً: "الخطُّ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَاللَفْظُ لِلْقَرِيبِ". الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي

خامساً: "مَا قَرَأْتُ خَطًّا لِرَجُلٍ إِلَّا عَرَفْتُ مَقْدَارَ عَقْلِهِ فِيهِ". الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي

سادساً: "إِنَّ خَطَّ الْإِنْسَانِ يَصِيرُ كَحَلِيتِهِ وَعَتِهِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ". الصُّوْلِي

سابعاً: "الْحُرُوفُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، مُخَاطَبُونَ وَمُكَلَّفُونَ". ابْنُ عَرَبِي

ثامناً: "مَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ ابْتِغَاءً مِنْ أَهْلِ صِنْعَتِهِ". ابْنُ الْأَزْرَقِ

تاسعاً: "الخطُّ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ، إِذِ الْكِتَابَةُ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ الَّتِي يُمَيِّزُ بِهَا عَنِ الْحَيَوَانِ". ابْنُ خَلْدُون

## أدوات الخطّاطين قديماً

لعلّ أهم أدوات الخطّاطين قديماً هذه الأدوات:

**أولاً: الدّواة.** وتُتخذ من أجود العيدان، كالأنوس، والصّندل، والسّاسم، أو من الثّحاس الأصفر، أو الفولاذ. وقد كانت تُزيّن، ويُحفر عليها، وقد تُحلى بالفصّة.

**ثانياً: القلم.** وكان يُصنع من القصب اليابس الصّلب، ويكون متوسّطاً بين الدّقة والغلظة.

**ثالثاً: المِقلمة.** وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام، وتُصنع بشكلٍ مخروطيّ، أو بيضويّ.

**رابعاً: المدية.** وهي السّكين التي تُسنُّ بها الأقلام.

**خامساً: المداد أو الحبر.** وقد كان يُصنع من نبت العنّص والصّمغ بطريقةٍ معروفةٍ عندهم.

**سادساً: المنفذ.** وهي آلةٌ تُشبه المخرز تُتخذ لحرم الورق.

**سابعاً: الملزمة.** وهي أداةٌ لشدّ الورق لكيلا يدرّج حال الكتابة.

**ثامناً: المفرشة.** وهي خرقةٌ تُفرش تحت الأقلام.

**تاسعاً: الممسحة.** وهي خرقةٌ أيضاً تُستعمل لمسح الأقلام عن الحبر.

**عاشراً: المسقاة.** وهي آلةٌ صبّ الحبر في الدّواة.

**حادي عشر: المسطرة.** وهي أداةٌ للتسطير، وأغلب من يستخدمها المذهّب.

\* من أرجوزة ابن البوّاب في أدوات الخطّ:

ويرومُ حُسن الخطِّ والتصويرِ

يامن يريدُ إجادَةَ التحريرِ

صلبٍ يصوغُ صناعةَ التعبيرِ

أعدِدْ من الأقلامِ كلّ مثقّفٍ

عندَ القياسِ بأوسطِ التقديرِ

وَإِذَا عَمَدْتَ لبريه فتوحّه

## مبادئ جمالية الخط العربي

لعلّ من أهم هذه المبادئ الجمالية للخط العربي التي يمكن وصفها:

**أولاً:** الانسيابية والمرونة. يصفها الصوليّ في (أدب الكاتب) بقوله: "إرخاء ذوائب الخطوط".

**ثانياً:** الوحدة والاتساق. المقصود الوحدة العضوية، من حيث وصل الحروف، وموقعها، وشكلها. يقول الصوليّ: "الحذق بالخط أن يقدّر الكاتب بقلمه أجزاء حروفه وكلمه، وخاصة في طول الحرف لا في عرضه...".

**ثالثاً:** الإيقاع المترادف كما في عروض الشعر. يقول الصوليّ: "يستبجح أن يقع في الخط نوعان مختلفان، ويقوم في النفس من ذلك ما يقوم في الشعر إذا اختلفت أعاريضه".

**رابعاً:** الخط بوصفه رديفاً للمعنى. عن التوحيدي: "الخط إحدى البلاغتين"، وعن النويري: "حسن الخط هو لسان اليد"، ويروى عن الإمام علي: "الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً".

**خامساً:** الخط دليل على الذات المبدعة. يقول الراغب: "كتاب الرجل منبئ عن عقله".

**سادساً:** الاختلاف. حتى مع وجود القاعدة يظهر ما يشدّ عند الكاتب فيمنحه بنائاً خاصة.

**سابعاً:** الغموض. يقول التوحيدي عن الخطوط: "منها المجرّد بالتحقيق، والمحلّى بالتحديق...". ويقول الصوليّ: "كره الكُتّاب الشكل والإعجام عند الكتابة للعظماء".

**ثامناً:** الخط بوصفه زخرفة. يقول التوحيدي: "إنّ للخط ديباجة متساوية، وأمّا وشيّه فشكله...".

### \*مصادر:

- أدب الكاتب، الصولي.

- المقدمة، ابن خلدون.

- الخط العربي، شاعر لعبي.